الدّراسات الصوتية والمعجمية في المغرب الإسلامي

Phonetic and lexical studies in the Islamic Maghreb.

د. عمرو رابحي

[1] جامعة أكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)، a.rabhi@univ-bouira.dz

تاريخ الارسال 2023/01/01	تاريخ القبول 2023/03/26	تاريخ النشر 2023/12/15

الملخص

كان دخول الإسلام إلى بلاد المغرب الإسلامي مؤذن بحركة علمية هائلة كان لها أكبر الأثر على الدراسات اللسانية والصوتية وهذا بسبب ما أحدثه الفتح الإسلامي من انقلاب في الحياة السياسية والاجتماعية وبخاصة الحياة الدينية التي طبعت الفترة الممتدة من الفتح إلى القرون التي تلت هذا الفتح، وقد أفضت إلى بروز أعلام من المغرب والأندلس على الأخص كان لهم من الإسهام في التأليف النحوي والصرفي والمعجمي الشيء الكثير ويكفي بلاد المغرب انتشار الإسلام والعربية بها ما جعلها تستقطب أهم أعلام المشرق العربي بل وتسهم في بعث الكثير من علوم اللغة والدين والسؤال الذي يطرح نفسه كيف كان التأثير والتأثر حتى صار لعلماء المغرب ذلك الحضور العلمي المتميز.

كلمات مفتاحية: اللسانية؛ الصوتية؛ التأليف؛ المعجمي؛ العربية.

Abstract

The entry of Islam into the Islamic Maghreb was the muezzin of a tremendous scientific movement that had the greatest impact on linguistic and phonetic studies, and this is because of what the Islamic conquest brought about in terms of a revolution in political and social life, especially the religious life that marked the period extending from the conquest to the centuries that followed this conquest, and it led to the emergence of flags from Morocco. And Andalus in particular had a great deal of contribution to grammatical, morphological and lexical composition, and the countries of the Maghreb sufficed with the spread of Islam and Arabic in them, which made them attract the most important figures of the Arab East, and even contribute to the resurrection of many sciences of language and religion. Outstanding scientific presence.

Keywords :linguistics;phonemic; authorship; lexical; Arabic.

المؤلف المرسل: **عمرو رابحي**، الإيميل: a.rabhi@univ-bouira.dz

مقدمة:

تعتبر اللغة جملة من الكلمات المنطوقة تستعمل للتواصل بين بني البشر وفق ذبذبات صوتية من المتكلم إلى السامع وهي نظام له ارتباط بين اللفظ والمعنى يسعى المتحدث إيصال ما يرمي إليه ،ولا يكون هذا إلا بواسطة اللغة واللغة فحسب، غير أن هذه الألفاظ تنتقل من المتكلم إلى السامع عبر الصوت الذي يحددها إلى المستقبِل لها، ولقد كانت لعلماء اللغة قديما وحديثا نظرات في شأن اللغة المنطوقة، حيث برزت بسببها دراسات نحوية وصرفية وبلاغية وألفت بشأنها مؤلفات كتب ومعاجم وموسوعات وغيرها،ولئن كانت اللغة من الضبط صرفيا وترتيب الجملة نحويا والكلا م بلاغيا قد تعرضت لها أقلام الدارسين كما أسلفنا القول تأليفا وضبطا، فإن الصوت الذي يسري في هذه الكلمات قد استوقف الباحثين والدارسين قديما وحديثا وذهبوا في ذلك يحللون أصوات الحروف وأحيازها فيزيائيا للوصول إلى خصائصها وآداءاتها وفق مناهج علمية.

أ – **أسباب اختيار الموضوع:**

1 - يعتبر الصوت اللغوي أساس التفاهم بين بني الإنسان، وهو علم له أهميته.

- لأنه يرتبط باللغة المنطوقة وببعض العلوم الإنسانية الأخرى التي لها فوائده ا التي تعود على الإنسان بالفائدة.
- هذامجال خصب قلت فيه الدراسات كما قلت فيه المصادر والمراجع التي تهتم .

2 - **أهداف الدراسة:**

- الاطلاع والوقوف على تلك الجهود التي بُذلت في هذا المقا م وبالأخص ما تعلق بالدراسة الصوتية عند العرب بالأخص مع تلك التأليف التي ذكرت فيها لأول مرة أهمية الصوت.
- نظرة تاريخية عجلى إلى الدور الذي ماقام به العرب القدامى في الشأن الصوت ومدى العلاقة التي بينه وبين بعلم التجويد.

- علاقة الصوت بالتأليف المعجمي لاسيما عند رائد المعجميات العربية (الخليل ومن تبعه مثالا).في هذا المضمار.

3 - **حدود الدراسة:**

- تنبع هذه الدراسة في تتبع آثار السابقين واللاحقين في الدراسات الصوتية في مراحلها المختلفة. مع ذكر لأهم المحطات الكبرى التي سايرت هذا العلم مع أهم الأعلام وأبرز الشخصيات العلمية التي كان لها ذلك الحضور المتميز في هذا الحقل المهم .

4 - **المنهج: الوصفي التاريخي.**

5 - **محاور الدراسة** :إن المنهج المتبع في هذا المقال يندرج ضمن الدراسات التي تعنى بالجوانب الصوتية مع ذكر للبدايات والأعلام.

- مجالات التأليف والتأليف المعجمي الذي يندرج وفق المنهج الصوتي في بلاد المغرب الإسلامي أنموذجا.

في بداية هذا المقال لابد لنا من العودة الى البدايات الأولى لموطن اللغة العربية في شبه الجزيرة العربية لمعرفة مكانتها فيما بين أهلها المتحدثين بها أصلا وفصلا .

لاجرم أن اهتمام العرب بلغتهم والمحافظة عليها يعود إلى أيام الجاهلية –أي قبل نزول القرآن– حيث كانوا يتبارون الأشعار والأمثال والحكم وقلما يلحن بعظهم في كلامه وإن وقع هذا من أحدهم كان عندهم هذا مستنكر وقبيح ،و قد بالغوا في تخير ألفاظهم ومعانيهم حتى بلغوا فيها الغاية من حيث الجودة في الفصاحة والبلاغة ،غير أن هذه الفصاحة والبلاغة التي كانوا عليها في نواديهم وأسواقهم والتي كانت مقصدا وموئلا لقراءة الشعر والتباري فيه، ولازال هذا الأمر قائما فيما بينهم حتى جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم على الرسول –صلى الله عليه وسلم–بلغتهم التي كانوا يعتدون بها أيما اعتداد ،فتحداهم ببلاغته الرائقة وفصاحته الراقية ، على أن يأتوا بمثله ولو بآية ، وأنى لهم ذلك من مقامه السامي الذي أعجزهم به وأسحرهم جانبه القوي وهو في أعلى لغة البيان وإن كانوا من قبل هذا أهل فصاحة وبيان –

كما أسلفنا القول- ودخلوا في الإسلام جماعات وأفرادا وتمسكوا بالقرآن الكريم واجتهدوا في قراءته والتمعن فيما فيه من البراهين الساطعة بلاغة وأسلوبا وإعجازا، وكان لهم في ذلك الحظ الأوفر فبلغوه وعلموه للأمم الأخرى حتى اتسعت رقعة الإسلام ودخل الناس فيه ومنهم الأعاجم ومن كل الأمصار والأقطار المختلفة واختلطوا بالعرب ومن هنا ظهر اللحن على ألسنة الكثير منهم الأمر الذي استرعى انتباه الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- حيث أشار لأبي الأسود الدؤلي[1] بضرورة وضع قواعد للغة العربية خشية أن يشيع الخطأ بين الناس ثم يمتد هذا اللحن إلى القرآن الكريم ومن هنا كانت البداية الأولى لعلم (النحو) ،ثم جاء من بعده نصر بن عاصم [ت:98هـ] [2] الذي قام بترتيب الحروف العربية وتنقيطها وكما ينسب ذلك أيضا للخليل بن أحمد الفراهيدي[175هـ]الذي يعد أول من فكر في تأليف معجم عربي وهو[كتاب العين] وفق الترتيب الصوتي المعروف.

الخليل ومنهجه الصوتي:

يقول عنه مهدي المخزومي: (ولا يمكن إنكار هذا السبق، الذي لفت أنظار الباحثين الذين جاءوا من بعده، وهو أول من نبه إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية، والنحوية، ولذلك كان للدراسات الصوتية من عنايته نصيب كبير، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة، الذي لم يكن مبنيا على أساس منطقي، ولا على أساس لغوي فرتبها بحسب المخارج في الفم وكان ذلك فتحا جديدا، لأنه كان منطلقا إلى معرفة خصائص الحروف وصفاتها[3]

وهو عمل لم يسبق إليه أحد قبله وهو التأليف الذي مهد به للدراسات الصوتية التي كان له به قصب السبق فيما بعد حيث تأثر بمنهجه أكثر من واحد أولهم الأزهري [4] وذلك في معجمه [تهذيب اللغة] وكذلك من حذا حذوهم في هذا الإتجاه.

أهم الأعمال التي قدمها الخليل في الصوتيات:

1 . ترتيب الخليل للأصوات استفاد منه سيبويه في الكتاب ،وابن دريد في الجمهرة، والرازي في الزينة، وابن جني في كتابه:(سر صناعة الإعراب) حيث زاوج بين كلام الخليل ومصطلحاته وألقابه وما ذكره سيبويه في

كتابه، وتبع ابن جني بعد ذلك أهل التجويد كمكيٍّ في الرعاية، والداني في التجديد، والقرطبي في الموضح، وأبي العلاء الهمذاني في التمهيد [5].

2- استنبط علم العروض، ووضع له مصطلحاته ونظامه، ومما أخبربه ابن دريد الزجاج عن أبي حاتم عن الأخفش قال: سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض: لم سميت الطويل طويلا؟

قال: لأنه طال بتمام أجزائه، قلت: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه: فَعِلُن وآخره: فَعُلُن ....الخ [6].

تبديل النظام العلامي الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي بنظام أسهل منه وأكثر تطوراً، لعللٍ صوتية اتخذها لذلك، فعلامة الهمزة، والحركات، والتشديد، والروم ،والإشمام كلها من وضع الخليل[7].

3 - تَضَمُّن معجَم العَين لمصطلحاتٍ وشُروحاتٍ تَكشِفُ عن أصولِ مصطلحات سيبويه الصَّوتيَّةِ في الكتاب، كـ: (الحروف المشْرَبة)، و (الاعتماد). وهذا يُبَيِّنُ العلاقةَ الوثيقةَ بينَ كلامِ سيبويه في الكِتَابِ وبين كلامِ الخليلِ في العَين، مِمَّا يؤَكِّدُ ضرورةَ أن يُدرَس الكتابان معاً إذا أريد معرفةَ أسرار العمل المعرفيِّ المنظَّم بكامل مستوياتِه المعجَمِيَّة، والصوتيَّة، والنحويَّة، والصرفيَّة، والدلاليَّة عند المتقدِّمين. الخليلُ شَقَّ طُرُقاً في الاشتقاقِ وعلاقةِ الصَّوت وقد استفاد منه ابن جني في الخصائص [8].

6 . وقد ألف الخليل كتابين أو قل رسالتين إحداهما في (النغم والأخرى في الإيقاع) ذكرهما النديم في الفهرست لم يدرس واحد منهما. فضلا عن كتاب الشواهد، والنقط، والشكل[9].

ابن جني والدرس الصوتي:

إن المتتبع لمؤلفات ابن جني يجد أن الرجل إضافة لما له من باع في الدراسات اللغوية لم يقف عند حدود النحو والصرف بل تنبه إلى ضرورة التفكير فيما يقتضيه بناء الكلام وما يحدثه الحرف من صوت كالإدغام والإعلال والإبدال وتصاقب الألفاظ ومحل الحركات من الحروف ومن هنا يمكن القول .

- بأن ابن جني كان أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم مازلنا نستعمله حتى الآن وهو ((علم الأصوات)).

- إن ابن جني يعد الرائد في هذه المدرسة، وكان على حق في قوله في كتابه ((وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع)) [10].وليس عجيباً أن يتفرد ابن جني بهذا الباب دون سائر أصحاب الاحتجاج «3»، فعنايته به أشهر من أن تخفى على أحد، من ذلك أنه في احتجاجه لقراءة أبي عمرو: ﴿ **ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ** ﴾ [سورة النمل، الآية: 20] بإسكان الياء، ﴿ **وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي** ﴾ [سورة يس الآية:22] بتحريكها- نسب إلى الإسكان معنى جواز الوقف، وإلى التحريك معنى وجوب الوصل. قال: ومما يتلقاه عامة من يسأل عنه بأنه أخذ باللغتين ،وسعة باختلاف اللفظين: قراءة أبي عمرو: وتفقد الطير فقال ﴿مالي لا أرى الهدهد﴾ بسكون الياء من (لي) وقراءته أيضاً: ﴿مالي لا أعبد الذي فطرني﴾ بتحريك الياء [11].

والدارسون لعلم الأصوات وبالأحرى أولئك الذين كان لهم السبق العلمي في الدراسات الصوتية حيث نجد من بينهم وفي مقدمتهم ابن جني الذي تلاه فيما بعد الطبيب والفيلسوف ابن سينا (ت:**427**هـ) هذا العالم الذي كان على جانب مهم من الطب والموسيقى والفلسفة، وعلم الأصوات والذي يعتبر بحق ذلك العالم المتميز إن لم نقل الوحيد الذي كانت له اهتمامات مشهودة وسبق في هذا المجال، حيث درس الأصوات بدءاً من مظاهر الطبيعة وأصواتها وكذا دراسة الصوت البشري المنطوق، وإن كنا هنا نذكر ابن سينا في هذا المقام الذي كانت له فيه شرف المشاركة في التأسيس لهذا العلم لاسيما في كتابه الموسوم بـ: أسباب حدوث الحروف) الذي أشار في فصله الأول إلى سبب حدوث الصوت، حيث قال فيه بالحرف الواحد[أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان.] [12]..

وإن تلك هناك جهودا قام بها ممن كان لهم اشتغال بالقراءات القرآنية والتي لا يمكن إغفالها أو تخطيها تعود إلى علماء التجويد – أي تجويد القرآن- الذين درسوا الأصوات العربية دراسة علمية، وإن كانت هذه الدراسات تتم برؤى مختلفة ،وبالعودة إلى قراءة هذه النتائج فإننا نجده ها لا تختلف في مطابقتها للدراسات الصوتية الحديثة .

التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي:

يُعَدُّ كتاب الرِّعاية لمكيّ من أوائلِ مصنَّفات علم التجويد وأحدُ أركانِه، قال صاحبُهُ في أوّل الكتاب: "وما عَلِمتُ أنَّ أحداً من المتقدِّمين سبَقَني إلى تأليفِ مثلِ هذا الكتاب، ولا إلى جَمْعِ مثلِ ما جَمَعتُ فيه من صفات الحروف وألقابِها ومعانيها، ولا إلى ما أتبَعْتُ فيه كلَّ حرفٍ منها مِن ألفاظِ كتاب الله تعالى، والتنبيهِ على تجويدِ لَفظِه، والتحفُّظِ به عند تلاوتِه"[13]..

وقد قال في كتابه منوها بما فيه من فوائد حيث يقول:" فمن ائتم بكتابي هذا في تجويد ألفاظه وتحقيق تلاوته، ممن سلم من اللحن والخطأ، وضبط روايته التي يُقرأُ بها،قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار ومرور الأزمان مقام المقرئ الناقد البصير الماهر النحرير [14].

إن مكي: في كتابه هذا قد [درس الأصوات دراسة وظيفية وربطها بعلم التجويد لخدمة الدين وخدمة القرآن الكريم واللغة العربية، ولكي ينتفع بها القارئ والمقرئ ولتكون عون الأهل القرآن على تجويد ألفاظه وإحكام النطق به] [15]..

كما يمكن أن يشكل هذا المنهج أسلوبا لتعليم اللغة لغير الناطقين بها وذلك عن طريق السماع والتقليد والتكرير إذ يقوم، الطلبة المتدربون بالسماع إلى المدرس وهو ينطق الأصوات والألفاظ والتراكيب نطقاً صحيحاً [16]..

جهود المغاربة في تعلم اللغة العربية والتأليف بها:

كان لانتشار اللغة العربية الذي رافق انتشار الإسلام أهمية كبرى ؛في كل أقطار المغرب العربي، وكذا بلاد الأندلس ،إضافة إلى عوامل أخرى كان لها أكبر الأثر من حيث الإسهام في تعريب بلاد المغرب برمتها ، وإن المتتبع تاريخيا لمسار المغاربة في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله وكذا السفر في طلبه، حيث لم يكتف المغاربة بدراسة علوم اللغة والدين فحسب بل أسهم وفي نشرها والتعمق في نحوها وصرفها وبلاغتها، وكانت البدايات الأولى في تحصيل العلم ونشره لا تتعدى مجرد الإقراء ورواية اللغة والنحو ثم ما لبث أبناء المغرب الإسلامي أن قرر فصيل منهم السفر إلى بلاد المشرق العربي طلبا للعلم والاستزادة من علوم اللغة

والدين أكثر، وإن كانت هناك في المقابل بعض الشخصيات العلمية التي كان لها حضورا علميا قد أقدمت إلى بلاد المغرب لنشر العلم والمعرفة على غرار ما فعل الأديب والعالم اللغوي أبو علي القالي البغدادي وإن عُدت هذه الشخصيات قليلة ، بالمقارنة مع هجرة المغاربة إلى المشرق لطلب العلم الشرعي واللغوي .و قد برزت منهم عدة شخصيات علمية كثيرة تعدت شهرتهم الآفاق وقل ما شئت عن بلاد المغرب والأندلس بل وصل صيتها حتى إلى بلاد المشرق، كبلاد مصر والشام والحجاز ، ولم تقتصر جهودهم العلمية على علوم الدين فقط بل تعدت إلى العلوم اللسانية والمعجمية التي توسعت وصار لها أعلام مشهورين بعد تلك المرحلة التي يمكن أن يطلق عليها بمرحلة التأثير والتأثر وهذه المرحلة التي توجه فيها الطلبة ((المغاربة إلى المشرق موطن اللغة العربية للاستزادة من اللغة وتحصيل العلم بها، لم يلبث أن ظهر منهم في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي جماعات تكتب بالعربية، وتؤلف بها لابل إن فريقا منهم أصبح ينافس أساطين علماء اللغة العربية في المشرق)) [17] ....أما في مجال الصوتيات، فلعلماء المغرب الكبير عناية بهذا الجانب المهم الذي حظي باهتمام كبير، وذلك لتعلقه بالنطق لاسيما نطق القرآن الكريم بكيفية صحيحة وسليمة وهنا نجد أهل الأندلس قد برعوا فيه وأصبح لهم فيه باع طويل ويمكن القول في هذا المقام أن المغاربة أنفسهم صاروا يتلقونه عنهم لمالهم من سبق واهتمام للأسباب التي ذكرنا، ومن هنا ((تعتبر القراءات من الأصول التي اعتمدها المغاربة في تقعيدهم لقواعد النحو والصرف واللغة، وهي بالإضافة إلى طابعها الصوتي ومتعلقة إلى حد كبير بالمعاني التي كثيرا ما تكون محددة وموجهة لها)) [18].

[غير أن هذا العلم استفاد منه العلماء في تفسير الآيات القرآنية] [19].وبمعنى آخر (أي هذا العلم استفاد منه اللغويون والنحاة في دراساتهم) [20].

((ولعل من أشهر مؤلفات التفسير التي اعتمدها علماء المغرب، كتاب[البحر المحيط]لأبي حيان الأندلسي[ت:745هـ] والذي كان بالأساس محتواه أو موضوعه إعراب القرآن، ويعد من أهم كتب التفسير لاحتوائه العديد من المسائل اللغوية والنحوية والقرائية أيضاً، ويقع هذا الكتاب بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور)) [21] .

إضافة إلى تفسير ابن عطية الذي اعتمد كثيرا في الدراسات اللغوية والنحوية.

- ومن الحقول اللغوية الأخرى التي اهتم بها المغاربة حقل المعاجم. وهذا بداية من القرن الرابع الهجري وقد أسهم المغاربة في هذا المجال إلا أن إسهاماتهم هذه تبقى قليلة إذا ما قورنت بما قدموه في العلوم الدينية. مقارنة بعلماء المشرق والأندلس. الذين برعوا في هذا المجال ومما تذكره المصادر في هذا الشأن، وجود نخبة من أولئك العلماء الذين ألفوا في هذا المجال وهنا نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.
- اللغوي **عبد الملك بن قطن المهري** القيرواني[ت 253هـ- 256 هـ] الذي أدرجه الزبيدي[ت379هـ]في الطبقة الثانية من لغويي القيروان. مع أخيه إبراهيم.(له مصنف لغوي)
- **أبوسهل أدنيم بن تميم المعروف بالشفلجي**[ت360هـ] قيرواني.
- العلامة اللغوي الفقيه إبراهيم بن اسماعيل الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي صاحب [كفاية المتحفظ]وكان من قبله قد برز.
- **محمدبن جعفرالقزاز** [ت:412هـ]الذي اشتهر بالتأليف المعجمي وهومن مواليد القيروان تخرج على يديه الكثير من الطلبة أشهرهم ابن رشيق القيرواني وغيرهما له مصنف ((الجامع في اللغة)).

وللمغاربة اهتمام كبيرفي شرح الألفاظ الغريبة في القرآن ككتاب((العمدة في غريب القرآن)) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي [ت:437هـ].

الدراسات المعجمية:

وهنايجدر بنا الحديث عن أول معجم عرفه أهل الأندلس.

البارع في اللغة: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي[22].

ولما نتناول الحديث عن الدراسات المعجمية والتأليف فيها عند علماء المغرب والأندلس أوعلماء المغرب الإسلامي برمته لا يفوتنا في هذه المقدمة الإشارة إلى أن(بداية التأليف المعجمي في المغرب والأندلس منذ

القرن الرابع الهجري – كما أسلفنا القول – فقد ألف أبو علي القالي [ت 356هـ] معجمه البارع الذي يعد أول معجم أندلسي وإن لم يكن له من الأندلسية إلا التأليف[23].

وفي هذا يذكر صاحب الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس نقلا عن ابن خير الأندلسي في فهرسته قائلا: ((وكان لأبي علي مشاركة واسعة في نشاط علوم اللغة، فكان بارعا فيها، مجتهدا في دراستها فألف في ذلك كتابا هاما أسماه[البارع في اللغة]، والذي وُصف بأنه(في اللغات كلها وأنه زاد على كتاب الخليل بن أحمد نيفا وأربعمائة ورقة مما وقع في العين مهملا فأملاه مستعملا، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد، وكان ابتداء أوله سنة تسع وثلاثين وكماله في شوال[355هـ/965م] ومات رحمه الله قبل إيعاب النسخة المرفوعة منه، وقبل أن ينقحه فاستخرج من الصكوك والرقاع وخرج بخط فصيح في مائة وأربعة وستين جزءا عدد أوراقها أربعة آلاف ورقة وأربعمائة ورقة وست وأربعون ورقة)) [24].ويعد البارع من حيث النظام نسخة من معجم العين للخليل بن أحمدالفراهيدي.

منهج الكتاب:

تتبع القالي منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في النظام الصوتي غير أنه خالفه من حيث الترتيب في الحروف ووفق هذا النظام ((يستنتج من القطعة المتبقية من هذا الكتاب ترتيب الحروف كمايلي: **هـ، ح ، ع ، خ ، غ ، ق ، ق ، ك ، ض ، ج ، ش ، ل ، ر ، ن ، ط ، د ، ت ، ص ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث ، ف ،ب، م ، و، ا ، ي**.أما حرف الهمزة فكان مكانها موضع خلاف[25] .أما من حيث الأبنية لم يخالف الخليل في ذلك،(حيث أخذ القالي في المبدأ العام في تبويب المعجم ،بحسب الأبنية الأساسية الأربعة هي: الثنائي[26]،والثلاثي[27]، والرباعي[28]،والخماسي وهذا الأخير لم يرد في الورقات الباقية من الكتاب، ولكن تعليقات الزبيدي في كتاب[المستدرك في اللغة] تدل على أن القالي لم يغفل في كتابه هذا البناء)[29].

وقدنوه به القفطي قائلا: « وألف كتاب البارع في اللغة، فبناه على حروف المعجم، وجمع فيه كتب اللغة، وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء، واختصر الإسناد عنهم، ولا يعلم أحد من العلماء المتقدِّمين والمتأخرين ألَّف مثله في الإحاطة والاستيعاب »[30].

- ابن سيده[ت:458هـ]- ومنهجه في المحكم والمحيط الأعظم-

يعد المحكم والمحيط الأعظم من أبرز آثار ابن سيده اللغوية، وهو من المعالم الواضحة في التراث العربي اللغوي، ولاسيما الأندلسي، وتتجلى أهميته حين نلتفت إلى كونه أحد الأصول الخمسة التي استمد منها[ابن منظور] مادة معجمه الكبير [لسان العرب] [31].

ويرى بعض الدارسين أن معجمه هذا ألفه بعد المخصص وقد اتبع في تأليفه نظام [كتاب العين للخليل]وحتى في المصادر التي اعتمدها هي نفسها في المخصص.

يقول محقق المحكم:" إن ابن سيدة سلك في تأليف هذا الكتاب طريقة الخليل في كتاب العين تلك الطريقة التي تعتمد على ترتيب الحروف وفقا لمخارجها بدءاً من الأبعد، وانتهاء بالأقرب؛ فكان ترتيبه كالتالي[**ع،ح،هـ،خ،غ، ق، ك، ج،ش،ض، ص، س، ز، ط،ت،ظ ،ذ،ث، ر،ل ،ن، ف، ب،م، ء، ي،و،ا**]. ومن ثم بدأ كتابه بكتاب العين، ويضم كتاب العين كل المواد اللغوية التي تكون العين من حروفها،سواء أكانت حرفها الأول، أم الأوسط ،أم الأخير.

ويضم كتاب[الحاء]جميع المواد اللغوية التي تشتمل على الحاء في أي مكان منها، بشرط ألا تكون قد وردت في كتاب العين السابق، وهكذا في بقية الكتب [32].

,والواقع الذي لا يمكن إنكاره أو تجاهله فإن الذين جاءوا بعد الخليل كلهم كانوا عيالا عليه سواء في علمه أو منهجه ولاسيما في حقل التأليف المعجمي والمتعلق أساسا بالجانب الصوتي. وإن المتأمل في كتابات الخليل بن أحمد ومؤلفاته يجدها كلها اعتمادها على الجانب الصوتي وربما هذا كان متأتٍ له من تأثره الكبير بالقرآن الكريم، فمثلا: كتاب العين والعروض الذي استنبطه من واقع الشعر العربي، والنغم، والنقط، وغيرها... من مؤلفات الخليل كلها مؤلفات صوتية.

تأثير الدراسة الصوتية في المؤلفات العربية:

وفي مقدمة كتاب (سر صناعة الإعراب) إشارة واضحة إلى ذلك الاهتمام الذي أولاه ابن جني للدراسة الصوتية واهتمامه بها حيث يعلق محققو الكتاب على هذا بقولهم : « وقد شاعت آثار الدراسة الصوتية التي قام بها الخليل وسيبويه من بعده وابن جني في نواحٍ مختلفة من الدراسات العربية، وأول ما نجده من ذلك ما صنعه أصحاب المعجمات اللغوية، فإنهم لم يتركوا شيئ ا من كلام ابن جني أومن قبله في ظواهر الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والزيادة ونحو ذلك إلا نقلوه عنه، وسلموا له القول فيه، واعتقدوا القول النهائي فيماهم بصدده، ولذلك نرى في المحكم والمخصص لابن سيدة، وفي لسان العرب لابن منظور، اسم ابن جني في كل مناسبة تصريفية أو صوتية وهو في نظر الجميع إمام هذه الصناعة » [33].

خاتمة:

حاولت هذه المقالة إلقاء نظرة مبسطة على واقع الدراسة الصوتية ابتداء من عصر الخليل بن أحمد مع مراعاة التأصيل والتقعيد للغة من حيث النحو والصرف وكذلك أهم الجهود المبذولة في التنظير للدرس الصوتي من خلال مؤلفات وجهود من جاء بعد الخليل كابن جني ومؤلفات الطبيب والفيلسوف ابن سيناء في مجال الصوتيات وانتهاء بمكي بن أبي طالب والتجديد المنهجي الذي أحدثه في مجال الدراسة الصوتية. إضافة إلى جهود أبناء المغرب الإسلامي في الدراسات المعجمية ولاسيما أهل الأندلس المتأثرين بمدرسة الخليل الصوتية، وأهم المؤلفات والأعلام الذين أسهموا بمؤلفاتهم كمختصر العين للزبيدي، والبارع لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ‘ي والمحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن سيده وغيرهم.

الهوامش:

(1) – هو [ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل]الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة. وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام علي، ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل عليّ. أول من نقط المصحف. وله شعر جيد، في (ديوان – ط) صغير، أشهره أبيات يقول فيها: [لاتنه عن خلق وتأتي مثله] مات بالبصرة. سنة [69هـ] ينظر ترجمته: الزركلي خيرالدين [معجم الأعلام].236/3.

(2) – هو [نصر بن عاصم بن أبي سعيد] الليثي ويقال الدؤلي

المقرىء النحوي البصري أخذ القراءة عن أبي الأسود الدؤلي والنحو واللغة عن يحي بن يعمر وهو أول من وضع العربية روى عنه القراءة أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وسمع منه قتادة وهو أول من نقط المصاحف وخمسها وعشرها توفي سنة تسعين بالبصرة [ت: 90هـ]،ينظر ترجمته: الفيروز آبادى: محمد بن يعقوب،البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تحقيق: محمد المصري، نشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت، ط/ 1،1407/ 332.

(3) – ينظر:مهدي المخزومي: في النحو العربي. قواعد وتطبيق. الطبعة الأولى، القاهرة 1956م،ص4.

(4) – هو [محمدبن أحمد بن الأزهر بن طلحة أبو منصور] الأزهري الهروي.

ارتحل في طلب العلم بعد أن سمع ببلده من الحسين بن إدريس، ومحمد بن عبدالرحمن السامي، سمع ببغداد من البغوي وإبن أبي داود وابن عرفة وابن السراج وغيرهم، توفي سنة سبعين وثلاث مائة.[370هـ]،ينظر ترجمته: الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، العقد الثمين في تراجم النحويين، تحقيق: يحي مراد، طبع ونشر: دار الحديث ،القاهرة، ، ط/ 1425هـ=2004م،ص ص، 114،115

(5) – ينظر: عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، تحقيق: محمد العمري، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها،ص54.

(6) – ينظر: ابن رشيق العمدة 136/1.

(7) – ينظر: ا لداني، المقنع، 129.

(8) – ينظر: الخصائص ،152/2و 168.

(9) – ينظر: ابن النديم ،محمد بن إسحاق أبو الفرج، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار العودة– بيروت– ط 1417هـ 1997م.ص66 .

(10) – ينظر: عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط1954م.63/1.

(11) – ينظر: عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، **أصل** الكتاب رسالة دكتوراهمن كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حلب 2005 م) دار الغوثاني، دمشق، ط1427هـ/2006م، ص 34.

الحلبي، القاهرة، ط1954م.63/1.

(12)– ينظر: ابن سينا، علي الحسين، نسخه وصححه ووقف على طبعه، محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، ط1332هـ، ص3.

(13) – ينظر: عادل ابراهيم أبوشعر، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، العام،1425هـ=2004م.

(14) – ينظر: مكي بن أبي طالب، الرعاية ص53.

(15) – ينظر: مجلة الآداب مجلة علمية تصدر متخصصة تصدر عن قسم اللغة العربية آدابها، بكلية الآداب واللغات ،جامعة منتوري قسنطينة العدد– 05، 1421هـ= 2000م ،ص18.

(16) – ينظر: المرجع نفسه ،ص21.

(17) انظر:ابراهيم حركات، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أطروحة دكتوراه.الرباط:1977-1998م،جامعة محمد الخامس(كلية الآداب والعلوم الإنسانية،ج1 ص446).

(18) انظر: عمار مصطفاوي، الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه في اللغة، الجزائر(2007م، جامعة تلمسان، قسم الأدب العربي ص74.

(19) انظر:ميلود التوري، الحركة اللغوية بالمغرب الأقصى: عصر المرابطين والموحدين، بحث دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات، ص155.

(20) انظر: اسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي ص55.

(21) انظر: المرجع السابق ص103-105.

(22) - إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان: أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب. ولد ونشأ في منازجرد ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد وأقام 25 سنة، ثم رحل إلى المغرب سنة 328هـ في أيام عبد الرحمن الناصر. أشهر تصانيفه كتاب (**الأمالي والنوادر**) في الأخبار والأشعار، وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي مات بقرطبة سنة 356 هـ. :ينظر: الزركلي: خيرالدين (معجم الأعلام)، 1/ 322.

(23) انظر: أحمد مختار عمر-البحث اللغوي عند العرب ص177.

(24) انظر: ابن خير فهرسة مارواه عن شيوخه ص355. وانظر أيضا: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي)سعد عبد الله البشري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي،(1401هـ- 1402هـ/ 1981م-1982م) ص 277.

(25) انظر: النشاط المعجمي في الأندلس، يوسف عيد ص113.

(26) الثنائي المضاعف وهو يسميه (الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة) ج 198/1م.انظر: أحمد الشرقاوي إقبال (معجم المعاجم). دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1993/1م، ج198/1.

(27) الثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(28) وهو يعلل عنونة الرباعي الباب الرابع بالأوشاب فيقول ما نصه « وإنما سميناه أو شابا لأننا جمعنا فيه الحكايات، والزجر، والأصوات، والمنقوصات، وما اعتل عينه ولامه، أو فاؤه ولامه، أو فاؤه وعينه، أو لامه وعينه بلفظ واحد » المرجع نفسه الصفحة نفسها.

(29) انظر: يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص114.

(30) انظر: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت،ط1406/1هـ- 1981م، ج241/1.

(31) انظر: النعيمي، عبد الكريم،(1984م)، ابن سيده، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ص 143.

(32) انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل،(ت: 458هـ)المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،(2000م) ج1،ص 4.

(33) انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب ص14.